

اللجنة الدستورية السورية: لعبة الكبار!



الحق موقف واشنطن ببيان دانت فيه سبع دول، هي أميركا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن، استعمال السلاح الكيماوي في سوريا، مؤكدة عدم التسامح مطلقا مع استعماله. ذهب السناتور الجمهوري الشهير لندي غراهام بعيدا وأوصى الرئيس الأميركي دونالد ترامب "بالنظر في ضربة حاسمة هذه المرة ضد أفعال الأسد مشابهة لما حاول ريغن فعله مع القذافي"، مشيرا إلى أنه سيقدّم قرارا إلى مجلس الشيوخ يعين فيه أن الأسد مجرم حرب، ويتوقع من خلاله أن يحصل على دعم من كلا الحزبين الرئيسيين.

العواصم الكبرى تتبادل رسائل تفهمها، وفيما يستعمل دمشق على ألا يخسر الحكم فيها شعرة من نفوذه، ينحرف النقاش نحو نقطة ارتكاز سريالية: هل نسمي سوريا «الجمهورية السورية» أم «الجمهورية العربية السورية»؟

ومع ذلك لا تبدو أن الرواية الروسية للعقد السورية ستكتفب وفق مزاج موسكو وحدها. كل الأطراف تجمع على أن الدستور ليس الحل، بل هو عنصر من عناصر الحل. ثم إن مشكلة سوريا ليست دستورا، بل قسما وخوفا وأجهزة ونظام أمن لا تعالجها فذلكات قانونية يسهل قهرها. أعلن عن تشكيل اللجنة الدستورية العريضة على قلب روسيا، فاكشفت واشنطن عبر سفيرتها لدى الأمم المتحدة أن على النظام السوري "الإفراج عن معتقلين يقدر عددهم بنحو 128 ألفا".

اكتشفت واشنطن بهذه المناسبة أيضا أن النظام السوري استخدم غاز الكلور. أعلن وزير الخارجية مايك بومبيو أن الولايات المتحدة خلصت إلى أن نظام دمشق ارتكب الإثم في هجوم نفذته على إلب، في مايو الماضي. أضاف الرجل أن "نظام الأسد مسؤول عن فظائع مروعة بعضها يصل إلى درجة جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية".

الأربع التي خرج بها المبعوث الدولي السابق ستيفان دي ميستورا: هيئة حكم انتقالي، صياغة الدستور، الانتخابات العامة، مكافحة الإرهاب.

على أن أمر اللجنة يمثل مع ذلك انتقالا من طور إلى طور داخل الصراع في سوريا. النظام يعترف بأنه لم يعد لوحده. يعترف أن هناك معارضة تشارك في صياغة مستقبل البلاد، وأن هناك مجتمعا مدنيا يمتلك أجدات قد تكون مستقلة عن المعارضة كما النظام. دمشق تعترف بأن هناك صراعا أهليا مشروعا وأن صراعها ليس فقط ضد جماعات إرهابية يجمع العالم على مقفها. موسكو تعبر عن الحاجة إلى شريك آخر غير دمشق وطهران في صناعة نظام سياسي في سوريا، فيما تركيا والسعودية ودول الجوار توفر، حتى إشعار آخر، البيئة الحاضنة لمخرج ملائم لسوريا كما لها من أزمة هذا البلد. المعارضة من خلال تلك اللجنة تعترف بالنظام شريكا شرعا يُمنع إسقاطه.

إرادة موسكو هي التي تقف وراء النجاح في تشكيل اللجنة الدستورية. تقرر أمر هذه الآلية ضمن مسار سوتشي (الروسي) وليس ضمن مسار جنيف (الأممي). أذنت الأمم المتحدة لكنها استطاعت، وربما اشترطت بطلب روسي، جز العملية باتجاه مسارها في جنيف ووفق ما يتسق مع قرار الأمم المتحدة 2254. وعلى هذا فإن البضاعة الروسية، التي سهلت دول، مثل السعودية وتركيا ومصر والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة ودول أخرى، إنتاجها خاضعة لمزاج دولي سيفرض عليها معايير قبل أي مصادقة على الملامح الأولى للعملية السياسية المتوخاة لإنهاء مأساة هذا البلد.

ليس صحيحا أن اللجنة الدستورية أعادت النقاش إلى السوريين كما قال جمال سليمان عضو هيئة التفاوض وعضو اللجنة الدستورية. وليس صحيحا أن تلك اللجنة تمثل نصرا للمعارضة كما صدر عن نصر الحريري رئيس هيئة التفاوض المعارضة. اللجنة ببساطة واجهة من واجهات الحل الروسي، الذي لا يمكن أن يرى النور إلا إذا بدد العالم الغربي الظلمات التي تحرم موسكو من جني الفغار. اللجنة ستكون صدى لجدل معقد بين أصحاب المصالح الكبرى في العالم في تحري نقطة التقاطع بين الأجدات المتنافسة. ستستضيف جنيف طويلا هذه اللجنة التي قد لا نسمع عنها الكثير. في ذلك الحدث ما لن يرتبط بمستقبل العمليات العسكرية في إلب، أو بالجدل المتعلق بالمنطقة الآمنة شرق الغرات، أو بالسجال المتصل بالصفوط العسكرية لتقليص النفوذ الإيراني، أو بالورش المهمة بمراقبة ممر طهران بيروت من خلال العراق. تمثل اللجنة تسليما دوليا بإسقاط بيانات جنيف والسال

إرادة موسكو هي التي تقف وراء النجاح في تشكيل اللجنة الدستورية. تقرر أمر هذه الآلية ضمن مسار سوتشي (الروسي) وليس ضمن مسار جنيف (الأممي). أذنت الأمم المتحدة لكنها استطاعت، وربما اشترطت بطلب روسي، جز العملية باتجاه مسارها في جنيف ووفق ما يتسق مع قرار الأمم المتحدة 2254. وعلى هذا فإن البضاعة الروسية، التي سهلت دول، مثل السعودية وتركيا ومصر والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة ودول أخرى، إنتاجها خاضعة لمزاج دولي سيفرض عليها معايير قبل أي مصادقة على الملامح الأولى للعملية السياسية المتوخاة لإنهاء مأساة هذا البلد.

العواصم الكبرى تتبادل رسائل تفهمها. وفيما يستعمل دمشق على ألا يخسر الحكم فيها شعرة من نفوذه، ينحرف النقاش نحو نقطة ارتكاز سريالية: هل نسمي سوريا «الجمهورية السورية» أم «الجمهورية العربية السورية»؟

تشكل اللجنة من 150 عضوا موزعين بالتساوي بين ثلاث جهات، 50 عضوا للمعارضة و50 عضوا للنظام و50 عضوا للمجتمع المدني. ستتناقش جميع الأطراف. والحقبة أن هذه الأطراف لم ترض إلا بعد أن قيل لها أن ترضى. تولت عواصم أمر المعارضة، وتولت موسكو أمر دمشق وطهران، وبين هذا وذاك تواطأ الجميع على استبعاد ممثلين عن "الإدارة الذاتية" الكردية. وللغطن أن يساعل عن التعويذة السحرية التي ستخرج بدستور جديد يقبل به تلقا هذه اللجنة على الأقل. ولنفس الغطن أن يتوقع



لم يفهم اللبنانيون كيف انتهت حربهم الأهلية التي دامت 15 عاما بمجرد إنتاج دستور جديد. لم يخطر ببالهم طوال سنين ذلك الانفجار الدموي أن لب العلة التي أدت إلى كارثة يتعلق بتضخم صلاحية هذا المنصب وتقلصها في منصب آخر. سمعوا خلال تلك الحرب شعارات براءة تحدثت عن حماية المقاومة الفلسطينية والدفاع عن عروبة لبنان من جهة، وسمعوا عن القتال من أجل استقلال لبنان وسيادته وأحيانا فينقيته من جهة ثانية. وحين انتهت هذه الحرب المقيتة جاءت المخارج مخالفة تماما للمخالات.

السوريون هذه المرة يكتشفون أن العالم سيصنع لهم سلما وبلدا وازدهارا واستقرارا من خلال صناعة دستور لبلادهم. كان نظام بشار الأسد قد أخرج آخر نسخة لهذا الدستور عام 2012، ويُعد تشكيل اللجنة الدستورية للبحث بهذا الدستور بتغييره وفق ما تلمح المعارضة، وبإدخال تعديلات عليه وفق ما يتسبب بالكاد من منابر النظام. وفيما الجميع، معارضة ونظاما وأمم متحدة يبدي تفاؤلا، وكان الفرج ات، لن يخفى على أي مراقب أن الأمر ملهات لا يؤمن بها السوريون علاجا لمأساتهم، لكنه مع ذلك يمثل عدة شغل جديدة مستوردة من الخارج للتعامل مع شأن لم يعد السوريون منتجين له أو صناعا لمآلاته.

والواضح أن الممثلين السوريين داخل العرض المسرحي الدراماتيكي انصاعوا لما أملاه كاتب السيناريو. روسيا ترعى أمر سوريا منذ سبتمبر 2015. تبرعت بتلك المهمة بعد أن مضى المجتمع الدولي برحمة ورعايته. وروسيا هي التي تقود، دون منازع، الجبهة المدافعة عن نظام دمشق، بعد أن تولت الدوائر الإقليمية والدولية إهداء موسكو تواطؤا أعمد أي إمكانية لمقاومة داخلية نوعية تترك ورشة دولة جبارة يقودها فلاديمير بوتين.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبالي
كرم نعمة
حذام خريف
مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيوقبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778
للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

تونس: النهضة وسياسة «الأجنحة المتكسرة»

يدخل المؤتمر في إشكاليات وظيفية عميقة والتكتل في أزمة هيكلية على وقع الانشقاقات العديدة.

وعند نطق حركة النهضة إلى أن اللحظة السياسية في تونس، إبان 2013 و2014، لم تعد تتطلب جناح العلمانية الثورية، استعاضت به بجناح الدولة العميقة ممثلا في حزب نداء تونس.

ولم تقصر الحركة حينها في بلورة خطاب جديد، حول جناحي تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس، وقيمة التوافق بين التيارين الإصلاحي وتيار الدولة العميقة، وبمجرد أن مرت عاصفة استرداد السيناريو المصري في تونس، وسقط النداء في دوامة الاستقطاقات والانشقاقات، حتى بدأت النهضة في اللعب على جناح جديد، متمثل في توافق "تحيا تونس ومشروع تونس" بقيادة يوسف الشاهد ومحسن مرزوق.

وقد بوات النهضة لتحالفها الجديد مع الشاهد ومرزوق، منطلقا جديدا، قوامه تحالف استمرارية الدولة والحكومة بفعل جناح النهضة والأجنحة المتبقية من نداء تونس. اليوم لن تجد حركة النهضة، مسوغا جديدا لتحالفاتها الجديدة، سواء مع الكتلة الثورية القادمة على مهل، أو مع كتلة نبيل القروي.

لا إشكال أخلاقيا أو سياسيا لدى النهضة في اجترار خطاب الجناح الثاني لتفسير دواليب الدولة، طالما أن التوافقات الكبرى في البرلمان وفي رئاسة الحكومة ستمر عبرها، فلها في كل مرحلة خطاب ولكل تحالف منطلق ولكل حليف منطوق.

ولا إشكال لها في توظيف الحركة أو الشخصية اللازمة، واستثمارها في ظل التماوج السياسي الحاصل، المفيد أن تبقى الحركة في قطب رحى الحكم والحكومة وإن غيرت خطابها وسياساتها ومشاريعها، طالما أنها تجد في كل مرة من يقبل دور نحل النحل ومن يرضى بلعبة الأجنحة المتكسرة.

لحظة معينة قبل أن تنقلب عليه بعد شطط دوره بالكامل وإنهاء تأثيره وفاعليته.

بنفس سيناريو الأجنحة المتكسرة، استفادت حركة النهضة والتيارات الإسلامية ككل، من التيار القومي والعروبي، خلال العشرية الأولى من الألفية الثالثة تحت عنوان "المؤتمر القومي الإسلامي". ووظفته للسيطرة على التيار الهوياتي في العالم العربي وللاستيلاء على دوره المقاوم في الكثير من المحطات واستمالة بعض الأنظمة العربية المعروفة بقربها من التيار القومي.

قبل أن تنقلب عليها جميعا أحزابا ومقاربات وعواصم عربية. وفي تونس تحديدا استفادت حركة النهضة من جملة من الأحزاب الحداثية على غرار المؤتمر من أجل الجمهورية وحزب التكتل من أجل العمل والحريات، وروجت لهما الحركة "خطاب أجنحة الوطن" في إشارة إلى التحالف المحوري بين التيار المحافظ والحداثي، قبل أن

ثم ليس من المفارقة، أن تدعي حركة النهضة أن ما روجته بالأمس، حول أهمية التوافق التاريخي بين الإخوة في الدم الدستوري، كان تكتيكا مرحليا لتجنب العاصفة الإقليمية، وأن عودتها اليوم للخط الثوري هو الأصل والاستراتيجية بعد أن تاصل التمتين في الديار التونسية.

في الوقت الذي لا تقدم فيه أي ضمانات للرأي العام بأن هذا الخطاب لن ينقلب رأسا على عقب بمجرد استشراق زلازل سياسية جديدة.

والحقيقة في هذا السياق أن الحركة استفادت من التلون ونجحت في تحويله إلى قاعدة عملية سياسية قد يكون من الجانب للضوابط القفز على حقائقها ووقائعها.

فعلى مدى عقدين على الأقل لم تتغير الحركة في اعتماد ما يمكن أن نسميه بـ"الأجنحة المتكسرة"، حيث تحتوي أحد الفرقاء مستفيدة من دوره السياسي والاستراتيجي في

استراتيجيا في البلاد، والافتقار إلى الحل الدائم في تونس يُبني من خلال التيارات الإصلاحية المؤمن بالدولة ورجال الدولة المؤمنين بالإصلاح السياسي، كلها تم حذفها بجزء قلم بمجرد التغيير في المزاج الانتخابي الوطني، وانتقال جزء كبير من خزان النهضة الانتخابي إلى شخصيات وأحزاب سياسية أخرى.

والواقع الذي على الجميع الالتفات إليه هنا، أن حركة النهضة التي تُشارف على سن الأربعين بالمعنى التنظيمي، لم تبلغ بعد سن النضج السياسي والفكري على عكس ما تروج في خطابها، لا فقط لأن لها ساقا في الدولة وأخرى في الثورة، بل لأن الأحزاب الكبرى لا تغير من توجهاتها وقناعاتها المرحلية الكبرى بمجرد التغيير في الميولات الانتخابية.

ذلك أن الأحزاب الكبرى تدفع الفاتورة الشعبية والجماعية جراء قناعاتها، ولا تخشى من خسارة الجمهور إن ربحت مرحلة اللحظة وتقاطعت مع التاريخ في آفاقه التفسيرية، والأكثر من هذا أنها تتعاضد مع خزانها الانتخابي في الرؤى وتنخرط معه في نقاشات كبرى، حتى تكون خياراتها مبنية على التفاعل والتشاركية والمسؤولية الجماعية، لا على الارتجال والاطباعية أو الحزبية السياسية.

ألم تخسر الأحزاب الشيوعية الاشتراكية الكثير من جمهورها عندما قبلت التحول إلى أحزاب ديمقراطية اجتماعية تضامنية، ثم ألم تغادر الشقوق المؤدلجة في التيار القومي، الأحزاب العروبية بعد أن قدمت الأخيرة أطروحات جديدة حول العروبة والديمقراطية والدولة الوطنية، وفي الحالتين، فإن الزمن التاريخي وطبيعة التقاطع الرمزي وتبعية الخطاب، فرضت خياراتا وإكراهات، وضرورات وأضرارا جانبية، وهي بالضبط حتمية التاريخ.



تحمل الخطابات السياسية الأخيرة لرئيس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي، الكثير من الدلالات اللافتة على قدرة الحركة على التلون في الخطاب والسياسات والاستراتيجيات بشكل يحيل لا فقط على الأزواجية، بل إلى الجمع بين كل ما سبق ذكره.

الحقيقة أن حركة النهضة استفادت من التلون ونجحت في تحويله إلى قاعدة عملية سياسية قد يكون من الجانب للضوابط القفز على حقائقها ووقائعها

لا يحق لأحد على المستوى الأدبي والرمزي أن يُصادر حق تغيير الحلفاء من قبل أي لاعب سياسي كان، ولا يحق لأحد أيضا أن يبذل بتغيير المواقف والمواقف حيال الأحداث المستجدة والطافحة بالمشهد السياسي الوطني، ولكن أن يصل المستوى إلى الانقلاب على مستوى المشاريع والاستراتيجيات والرؤى الكبرى، فهذا يضعنا حيال نقاط استفهام كبرى وتوجس من أداء وخطاب الحركة التي يتوقع لها أن تحظى بكتلة تشريعية معتبرة في البرلمان القادم.

فالدونة السياسية التي صاغتها حركة النهضة منذ اجتماع باريس بين راشد الغنوشي والرئيس الراحل الباجي قائد السبسي، مروراً بمخرجات مؤتمراتها، والتي أفضت كلها إلى اعتبار التوافق خيارا

